

إنجازية الفعل الكلامي في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا

*Examining Speech Acts in Moufdi Zakaria's Poem 'The Rising Sacrifice'*خليفة عيسات¹*

قسم علوم اللسان جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، aissatkhalifa81@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/12/06

تاريخ الاستلام: 2024/01/09

ملخص:

اتخذ الشاعر مفدي زكريا الشعر للتعبير عن أفراح وأحزان الشعب الجزائري وتمجيد بطولاته وكوسيلة للدفاع عن وطنه من المستعمر الفرنسي المستبد واختارنا قصيدة الذبيح الصاعد التي تعالج إعدام أول شهيد بالمقصلة البطل أحمد زبانا.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الأفعال الكلامية في القصيدة والتركيز على إنجازية الأفعال الكلامية مع مراعاة السياق وقصد المتكلم للوقوف على مقاصد الخطاب في النص الشعري وفق التقسيم الخماسي للأفعال الكلامية عند جون سيرل.

الكلمات المفتاحية: إنجازية الفعل؛ التداولية؛ الذبيح الصاعد؛ جون سيرل؛ قصيدة؛ مفدي زكريا.

Abstract:

Moufdi Zakaria resorted to poetry as a medium to convey the emotions, struggles, and valor of the Algerian populace while championing their cause against the oppressive French colonialists. This study delves into Zakaria's poem "The Rising Sacrifice," specifically addressing the guillotine execution of the Algerian hero Ahmed Zabana.

Through an analysis of speech acts within the poem, the research aims to scrutinize the execution of these acts in line with John Searle's framework, considering contextual cues and the speaker's intent. The objective is to unveil the varied speech purposes embedded in the poetic text.

Keywords: Speech Acts; Pragmatics; The Rising Sacrifice; John Searle's ;poem; Moufdi Zakaria.

يعد الشاعر مفدي زكريا رائد الشعر الثوري التحرري والملتزم بقضية الثورة التحريرية وكانت الثورة هدفه الأسى فصور أحداثها ومجد بطولاتها وافتخر بها ورثى شهدائها وكان شاهدا على أحداثها في ساحات المعارك والسجون فتجسدت صورة الثورة في شعره، وقصيدة الذبيح الصاعد التي تروي إعدام الشهيد البطل أحمد زبانا نقل فيها الشاعر مفدي زكريا صورة عن مشهد إعدام رفيق دربه في النضال والسجن البطل الشهيد أحمد زبانا وهو يتقدم إلى المقصلة من تلقاء نفسه لا ترعبه الموت، يشعر بالرضا وهو يقدم نفسه فداء لوطنه.

ونسعى في هذا البحث إلى الكشف عن البعد التداولي والإنجازي في النص الشعري وإعطائه صبغة وبعد تداولي إنجازي ضمن نظرية أفعال الكلام حيث شكلت قصيدة الذبيح الصاعد مدونة تطبيقية للبحث وهي منجز أدبي ثري يتناسب مع الدراسة التداولية وعليه نقوم برصد الأفعال الكلامية بأنواعها وأغراضها وقوتها الإنجازية وتحليلها بحسب السياق وقصد المتكلم معتمدين في ذلك على التقسيم الخماسي لأصناف الأفعال الكلامية عند جون سيرل للوقوف على مقاصد الخطاب الشعري عند مفدي زكريا محاولا الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف تجلت إنجازية الأفعال الكلامية في قصيدة الذبيح الصاعد؟. واعتمدنا على خطة بحثية تكونت من مقدمة ومبحثين وخاتمة تطرقنا في المبحث الأول إلى نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وجون سيرل، أما في المبحث الثاني وهو التطبيق فخصصناه لتحليل القصيدة وفق تصنيف جون سيرل الخماسي للأفعال الكلامية المتمثل في: التقريرات والتوجيهات والتعبيرات والالتزاميات والإعلانيات، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لهذه الدراسة.

أولا: نظرية أفعال الكلام: *théorie des actes de paroles*

يعد جون أوستين من فلاسفة اللغة الذي أسس نظرية للأفعال الكلامية، حاول فيها نقل اللغة من جانبها التقريري الوصفي نحو الجانب الإنجازي، وكانت غايته إثبات أن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل ونقل الأخبار، بل هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال ضمن سياق معين إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية لصناعة العالم والتأثير في أحداثه، وقد توصل إلى نتيجة مفادها "اعتبار القول هو الفعل" وقد أسست هذه المفاهيم الجديدة للغة في تأسيس فكرة جديدة هي أنه مجرد التلفظ بقول ما هو إنجاز لفعل ما وهذا يعد عملا لسانيا مهما.

1. أفعال الكلام عند جون أوستين:

ومن جهود أوستين اكتشافه لظاهرة الأفعال الكلامية كظاهرة لغوية متميزة عن غيرها من الظواهر اللغوية وقد انتهى أوستين إلى نتيجة مفادها "اعتبار القول هو الفعل" ثم تفرع الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال متزامنة تحدث في نفس الوقت وهي فعل القول والفعل الإنجازي والفعل الناتج عن القول، واعتبر أن الفعل الإنجازي هو جوهر الفعل الكلامي، وأكد على أن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل أو التعبير عن الفكر، بل هي سلوك فردي واجتماعي أي صناعة للعالم وتأثير في أحداثه، وأخيرا أجرى تصنيفا للفعل الإنجازي يتضمن خمسة أصناف هي: الحكميات والأمريات والوعديات ولسلوكيات والتبينيات (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 152).

1.1. الفعل الكلامي الكامل عند أوستين (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 145):

فعل القول: قول شيء معين أو التلفظ بكلام ما.

الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي): إنجاز فعل اجتماعي ضمن قول شيء ما.

الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري): الآثار المترتبة على قول شيء ما.

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية وجعلها خمسة أصناف كما يلي (الطبيبائي، 1994، صفحة 10):

- أ. أفعال الحكم "Actes Verdictifs": وهي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة كأفعال التقويم، والتبرئة، وإصدار أحكام.
- ب. أفعال القرارات "Actes Exercitifs": وهي الأفعال التي تقوم على استعمال الحق، أو القوة كأفعال التعيين، والاستقالة، والنصح، والأمر.
- ت. أفعال التعهد "Actes Promissifs": وهي الأفعال التي تلزم المتكلم بإنجاز فعل ما أمام المتلقي كأفعال الوعد، والتمني، والقسم.
- ث. أفعال السلوك "Actes Comportatifs": وهي الأفعال التي تمثل ردود أفعال المتلقي اتجاه سلوك ما، كالاعتذار، والتهنئة، والشكر، والترحيب.
- ج. أفعال الإيضاح "Actes Expositifs": وهي الأفعال التي تدخل في حاجة المتكلم مع المتلقي، لإيضاح فكرة ما، أو وجهة نظر أو بيان رأي كأفعال الإثبات، والإنكار، والاعتراض، والوصف والشرح، والتفسير.

فالفكرة الجديدة التي جاء بها الفيلسوف أوستين والتي تميزه عن غيره من الفلاسفة هي استحداث فلسفة لغوية غير معروفة سابقا تمخضت عنها منهج جديد في دراسة اللغة هو المنهج التداولي حيث تحولت وظيفة اللغة من أداة واصفة إلى أداة منجزة تغير العالم وتؤثر فيه.

2. أفعال الكلام عند جون سيرل :

تابع الفيلسوف جون سيرل مشروع أستاذه أوستين بإعادة صياغة المفاهيم وتعديلها ومراجعة تصنيف القوى الإنجازية ضمن أفق معرفي أكثر عمقا هو فلسفة العقل، وكان تركيزه على القوة الإنجازية والفعل الكلامي الذي يتضمن هذه القوة الإنجازية، ودراسته لظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة التي يخالف غرضها الإنجازي الحرفي مراد المتكلم، والتي تشتمل على قوتين إنجازيتين متلازمتين، وتعد هذه المراجعات والتعديلات التي أجراها جون سيرل بطريقة منهجية على نظرية الأفعال الكلامية إضافة نوعية متميزة على النظرية أسفرت عن نظرية مكتملة ومنظمة، وأعطى للنظرية صيغتها النموذجية النهائية. (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 168)

1.2. مكونات الفعل الكلامي عند جون سيرل:

الفعل القضوي: يعبر عن قضية.

الفعل الإنجازي: يعبر عن قوة إنجازية.

الفعل الناتج عن القول: يعبر عن الآثار المترتبة في الواقع،

وما يميز التعديلات التي أجراها سيرل على نظرية أفعال الكلام أنه قدم تصورا آخر لمنطق الأفعال الإنجازية، كما أدخل ضمن الإنجازيات الأفعال الكلامية غير المباشرة، وتشكل هذه المباحث الثلاثة جوهر الجديد الذي جاء به جون سيرل (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 160).

• إعادة النظر في مفهوم الفعل الإنجازي وتعديله:

لم يختلف سيرل مع أوستين ولكنه ضبط مفهوما آخر للفعل الإنجازي، ومن ثم يحدد له بنية عامة مختلفة وتفريعات أخرى، أهم ما يميزها هو النسق المصطلحي المفاهيمي الذي أراد سيرل أن يتميز به عن أستاذه (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 161).

• ثنائية سيرل: المضمون القضوي والقوة الإنجازية:

التواصل بين أهل اللغة قائم على مبدأين المبدأ الأول: منطق اللغة وقواعدها في بناء العبارة حتى تؤدي معنى مقبولا، والمبدأ الثاني: قصد المتكلم الذي يتصرف في التواصل اللغوي وفق هذا النظام. وعلى أساس هذه القناعة المنهجية يبني سيرل نتيجة مفادها أن التواصل اللغوي لا يتم بالأقوال ولكن بأفعال وإفادات تتضمنها تلك الأقوال، وبني على ذلك تحليلا للعبارة اللغوية وتفكيكها إلى مكونين يتلبس أحدهما الآخر هما "المضمون" و"القوة" وبغرض تفكيك بنية الفعل الكلامي إلى وحداته الأولية قسمه سيرل إلى مستويين المستوى الدلالي، والمستوى التداولي فسعى المستوى الأول: محتوى القضية (contenu propositionnel) وسمى الثاني: القوة الإنجازية (force illocutoire) وهذا الأخير هو الذي يطبعها بطابعها التداولي الصريح. وفحوى هذا التمييز بين مفهومين، مفهوم "فعل القول" ومفهوم "فعل القوة" فالأول هو الفعل اللغوي المحدد في لغة ما، بينما الثاني هو ملء هذا اللفظ بقوة إنجازية كأن يكون فعل القول معناه الحرفي الاستفهام ولكن قوته الإنجازية الإنكار، ويعد هذا الإجراء من أكبر مظاهر التعديل المنهجي (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، الصفحات 4-5).

• شروط المحتوى القضوي:

اقترح سيرل تمييزا آخر يحدد به نمطين من الأفعال في كل جملة، وهذان النمطان هما اللذان يلخصان مفهوم الفعل الإنجازي:

أ. فعل القضية أو الفعل القضوي: وهو المعنى المباشر للجملة

ب. فعل القوة: وهو الطاقة الإنجازية التي تتضمنها الجملة، كالإخبار، والوعد، والتمني، ويعد فعل القوة هو الفعل الكلامي الحقيقي عند سيرل (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، صفحة 6).

2.2. تصنيف الأفعال الإنجازية عند سيرل:

لم يقتنع سيرل بتصنيف أستاذه أوستين وقام بتوجيه نقد شديد لتصنيف أوستين لأنه يفتقد لمنهج واضح ومتناسك مينا أنه نقطة الضعف الجوهرية في هذا التصنيف أنه لا يقوم على نسق واضح، أي على مجموعة من المبادئ المنسجمة باستثناء الوعديات الذي استخدم فيها مبدأ واضحا هو غرضها الإنجازي، ولذلك يعرض تصورا منهجيا جديدا وبديلا لتصنيف أوستين، فوضع لائحة من المعايير المبدئية المتنوعة الشاملة لمفهوم القوة الإنجازية، واتبع مسكا علميا جديدا مكنه من فهم أعمق لمنطق القوى الإنجازية وإعادة تصنيفها وأهم هذه المعايير:

- الغرض الإنجازي
- درجة شدة للغرض الإنجازي
- شرط الصراحة
- نمط الإنجاز
- الحالة النفسية المعبر عنها
- علاقة الفعل الإنجازي بالسياق الخطابي العام (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 169).

3.2. معايير القوة الإنجازية عند سيرل:

- ويراد بها مجموعة الأسس المنطقية والدلالية والتداولية التي يكون دورها كما يلي:
- التمييز بين مستويين: القضية والقوة
- التمايز بين أصناف الأفعال الكلامية.

واستوحاها سيرل من الأفعال ذاتها، وإما من العلاقات السياقية بين الخطاب وملابساته التي يقوم عليها فعل القوة ليميزه عن فعل القضية الذي هو فعل عادي، وهي عبارة عن متغيرات دلالية وتداولية، ولكن أهم تلك الأسس والمعايير ذات الطابع التداولي، وذات الأثر الواضح في الحكم على إنجازية الفعل أو عدم إنجازيته وأهمها: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة بين العالم والكلمات، وشرط الصراحة. وتوفر هذه العناصر في فعل واحد تحقق للفعل قوة إنجازية عالية (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، صفحة 9).

أ. الغرض الإنجازي:

كل ما يهدف إليه الفعل من غاية إنجازية يسميه سيرل الغرض الإنجازي للفعل المتعلق به، وهو ملازم ولصيق لنمط الفعل الذي يتعلق به، فهو متلبس به تلبسا لا مقتضى للعدول عنه، ولا مجال للتخلف عنه وهو أهم أساس من أسس القوة الإنجازية (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، صفحة 9).

ب. اتجاه المطابقة بين القول والعالم: ويريد بها سيرل الوجهة التي يرتبط بها القول مع العالم. وقد حصرها سيرل في أربع اتجاهات (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، صفحة 10):
- اتجاه المطابقة من القول إلى العالم: انشاء فعل كلامي يطابق العالم مثل: التأكيد والإنكار وهو خاص بالتقريريات.

- اتجاه المطابقة من العالم إلى القول: يتحقق النجاح بتغيير العالم مثل: القسم والوعد والأمر وهو خاص بالأمريات والوعديات.

- اتجاه المطابقة المزدوج: يتحقق النجاح في المطابقة بين القول والعالم مثل: الاستقالة التعيين وهو خاص بالإيقاعات

- اتجاه المطابقة الفارغ: مثل الشكر والتهنئة وهو خاص بالبوحيات.

ث. الصدق أو الإخلاص: وهو عبارة عن تطابق حاصل بين "وإن لم يكن حاصلًا فلا بد أن يحصل" بين القول وبين جملة النوايا والاعتقادات الملائمة له، فإذا لم تتلبس القول نية صادقة أو اعتقاد بمضمونه فقد تعثرت قوته التي ضمنها وانتفت هويته الإنجازية (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، صفحة 11).

3.2. أفعال الكلام غير المباشرة "Indirect speech acts":

وقد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا لذلك ميّز جون سيرل بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة، فالأفعال الكلامية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية قصد المتكلم وفي المثال الذي قدمه سيرل هل تناولني الملح؟ فعل إنجازي غير مباشر قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام، لكن الاستفهام في هذا المقام ليس هو مراد المتكلم بل إن المتكلم أراد الالتماس والطلب المهذب وتوسل بالاستفهام لتحقيق مقصده (صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال، 2023، صفحة 53). فكلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلامي مباشر (بول، 2010، صفحة 92).

فسيرل خالف منهج أستاذه أوستين وأعاد النظر في الفعل الإنجازي وكان تركيزه على القوة الإنجازية كما قام بمراجعة تصنيف القوى الإنجازية على أسس ومعايير جديدة أهمها: الغرض الإنجازي واتجاه المطابقة، وأضاف دراسة جديدة للنظرية سماها الأفعال الإنجازية غير المباشرة.

ثانياً: أفعال الكلام في قصيدة الذبيح الصاعد:

تعد قصيدة الذبيح الصاعد من أشهر قصائد مفدي زكريا ضمن ديوان اللهب المقدس، نظمت بسجن بربروس ليلة الثامن عشر من شهر جوان عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف ميلادي (18 جوان 1956 م) أثناء تنفيذ حكم الإعدام بالمقصلة على الشهيد "أحمد زبانا" رحمه الله (مفدي زكريا، 1983، صفحة 9).

وقصيدة الذبيح الصاعد عبارة عن رسالة شعرية للشاعر مفدي زكريا نقل فيها حادثة تاريخية تمثلت في إعدام أول شهيد بالمقصلة البطل أحمد زبانا وهو ثابت في ميدان الكفاح ليكون قدوة لرفاقه المجاهدين في النضال، و تخليداً لذكرى إعدامه، ونقل فيها صورة واقعية نابغة من الألم وجراح الشعب الجزائري كما تغنى فيها بشجاعة الشعب الجزائري الذي لا يخاف من الموت، ولا يهاب الصعاب و يأبى الظلم والاستعباد وهو مستعد للتضحية من أجل وطنه، كما عرض في القصيدة وحشية المستعمر الفرنسي وجرائمه ضد الشعب الجزائري. فالشاعر كان يحث المتلقي على التحدي والصمود والثبات في ميدان الكفاح حتى يتحقق الاستقلال.

1. الإخباريات: "Assertives":

والغرض منها هو التقرير، وشرطها الافتراضي هو امتلاك الأسس القانونية أو الأخلاقية التي تؤيد صحة محتواها، واتجاه المطابق فيها هو من القول إلى العالم، وتعبّر عن حالة نفسية هي الاعتقاد ومن أمثلتها: الإجابة، الإنكار، التأكيد (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 178). ونجد في النص الشعري "الذبيح الصاعد" أفعالا كلامية تقريرية يصف فيها لحظة إعدام الشهيد البطل أحمد زبانا، إذ يقول الشاعر (مفدي زكريا، 1983، صفحة 8):

قَامَ يَخْتَالُ كَالْمَسِيحِ وَنِيْدًا	يَتَهَادَى نَشْوَانَ يَتْلُو النَّشِيدَا
بِاسْمِ الثَّغْرِ كَالْمَلَايِكَةِ أَوْ كَالطِّفْلِ	يَسْتَقْبِلُ الصَّبَاحَ الْجَدِيدَا
شَامَحًا أَنْفَهُ جَلَالًا وَتِمَهَا	رَافِعًا رَأْسَهُ يُنَاجِي الْخُلُودَا
رَافِلًا فِي خَلَاجِلِ زَعْرَدَتْ تَمَلُّا	مِنْ لَحْنِهَا الْفَضَاءَ الْبَعِيدَا !
حَالِمًا كَالْكَلِيمِ كَلِمَةً الْمُجَدَّ	فَشَدَّ الْجَبَالَ يَنْغِي الصُّعُودَا
وَتَسَامَى، كَالرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	سَلَامًا يُشْعُّ فِي الْكُونِ عِيدَا
وتعالى، مثل المؤذن يتلو	كلمات الهدى، ويدعو الرقودا

كان أحمد زبانا يرى الموت يقظة وابتداء لبعث جديد وكانت نفسه ترفض الاستسلام والخنوع والاعتراف بالهزيمة بل إن الموت عنده تطهير وخلاص يعتمد على المواجهة (هلال، 2005، صفحة 36). "وبدأ الشاعر كلامه بـ "قام يختال" الذي يوحي بمعنى التجلد والمبادرة إلى الموت فلم يؤخذ المحكوم عليه أخذا بل قام إليها من تلقاء نفسه" (بومالي، 2012، صفحة 176)، والشاعر مفدي زكريا في هذا الخطاب ينقل خبر إعدام الشهيد أحمد زبانا، إذ استعمل الفعل الماضي "قام" فعل ماضي وهو فعل كلامي إنجازي غرضه تأكيد وتقرير الحقيقة ورفض الاستسلام والخنوع، ثم تتبعه بأفعال إنجازية تقريرية أخرى "يتهادى، يتلو، يستقبل، يناجي، يرجو، يتلو" يصف فيها حالة الشهيد وهو فخور بتلك النهاية، وجاءت هذه الأفعال مطابقة للواقع حققت فعلا تأثيريا يتمثل في إظهار قوة العزيمة والاستشهاد من أجل الوطن وتصوير بشاعة جرائم الاستعمار الفرنسي.

الفعل الكلامي: استخدم الشاعر مفدي زكريا الأفعال الكلامية الإخبارية المباشرة "قام يختال" و "يتلو النشيد"، "يستقبل الصباح"، "يناجي" الخلود" يبغى الصعود"، "يشع في الكون"، يتلو كلمات" وهذه الأفعال غلب عليها الزمن المضارع التي تدل على الاستمرارية والحركية وتعبّر عن حركية الثورة التحريرية، والذي يسعى من خلالها إلى وصف المشهد المهيّب ووصفه في حالة من العظمة والتسامي، ويعكس إعجاب الشاعر بالشخصية الموصوفة التي شبيهها بالمسيح التي تعبّر عن القداسة مما يعزز الطابع الروحاني والديني للمشهد. حيث يصف فيه الشاعر الأوصاف الدقيقة للشهيد أحمد زبانا وأفعاله، فوصفه وهو يسير بهدوء وهيبه، في قوله " قام يختال"

فصور فيه وقفة الشهيد وحركته التي تعكس الهيبة والوقار، وشبه اختياله بالمسيح لنقل معلومات حسية تسهم في وقار هذا الشخص، الذي يحمل بعدا دلاليا يعكس الاحترام والتقدير، ثم صور حركته وهو ينشد النشيد، ثم وصف ابتسامته النقية وكبرائه، وصوت ألقانه التي تملأ الفضاء، كما شبه حلمه بالنبي موسى عليه السلام. ليجعل منه بطلا وطنيا ورمزا مقدسا خالدا للتضحية والنضال في الثورة التحريرية

الفعل الإنجازي: الاعتزاز بالشهيد أحمد زبانا، وتمجيد هذه الشخصية العظيمة وتقديرها. للإشادة به ورفع مكانته لدى المتلقي وإضفاء هالة من القدسية والوقار عليه.

الفعل التأثري: إثارة إحساس المتلقي للتأمل في القيم الروحية والإنسانية، وتعزيز شعوره بمكانة الشخصية وعظمتها، ودعوته للارتباط بالقيم الروحية من أجل إحداث التغيير في المستقبل.

2. التوجيهيات "Directives":

وغرضها الإنجازي هو الطلب واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، والحالة النفسية التي يعبر عنها في التوجيهيات هي الرغبة ومن أمثلتها: الأمر، النهي، الاستفهام (الطبطبائي، 1994، صفحة 31). وقد تضمن الخطاب الشعري "الذبيح الصاعد" الأفعال الكلامية التوجيهية ومن بينها:

1.2. الأمر:

"هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء" (المراغي، 1993، صفحة 75) وقد ورد في القصيدة كفعل توجيهي غير مباشر وقوته الانجازية هي التحدي في قول الشاعر: (مفدي زكريا، 1983، صفحة 9)

إشْنَقُونِي فَلَسْتُ أَخْتَى جِبَالاً وإصْلُبُونِي فَلَسْتُ أَخْتَى حَبِيداً

البيت الشعري يتضمن فعل كلامي توجيهي جاء بصيغة الأمر "اشنقوني، اصلبوني" يتضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي التحدي، فالبطل أحمد زبانا مستعد للتضحية في سبيل وطنه وتحدي المستعمر الغاشم الذي اغتر بقوته، وتضمن فعل تأثري هو توجيه المتلقي إلى الفعل أو محاولة التأثير فيه، وشرط الإخلاص هو إرادة المتكلم حدوث الشيء، ورغبته الصادقة في حدوثه، فهو يريد توجيه نفسه إلى الصبر والتسليم لأمر الله، وزرع الثقة والطمأنينة في نفوس الجزائريين، أما اتجاه المطابقة فهو من العالم إلى الكلمات.

الفعل الكلامي: وهي الصيغة الحرفية للجملة "اشنقوني"، اصلبوني" وهي أفعال أمر يوجه فيها الشاعر طلبا للمستعمر بشنقه أو صلبه باستخدام الحبال أو الحديد.

الفعل الإنجازي: أفعال الأمر ليست أمرا حقيقيا وتحمل معنى مجازيا ضمينا يتمثل في السخرية من قوة أعدائه، وللتعبير عن تحدي الظلم وإظهار الشجاعة للخصم.

الفعل التأثري: إثارة الإعجاب بالموقف البطولي للشاعر والثبات على المبادئ لدى المتلقي، كما يثير الخوف للخصم أمام شجاعة الشاعر.

2.2. النهي:

"طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة وهي المضارع مع لا الناهية" (الهاشمي، 2014، صفحة 73). وقد ورد بأسلوب غير مباشر في النص الشعري يفيد الذم والتأنيب في قول الشاعر: (مفدي زكريا، 1983، صفحة 10)

وَأَمْتَثِلْ سَافِرًا مَحْيَاكَ جِلَادِي وَلَا تَلْتَمِمْ فَلَسْتُ حَقُودًا

جاء في البيت الشعري فعل كلامي طلبي مباشر هو النهي "لا تلتمم" ويتضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي "الذم والتأنيب" يدعوا فيه الذبيح أحمد زبانا أمره إلى جلاده بأن يكشف عن وجهه ولا يغطي وجهه لأنه لا

يهمه قاتله، وأن المقصلة تتم فيها نهاية الأبطال، وأن شنقه بالمقصلة سيعرج به إلى جنات الخلد، فالشاعر يحث المتلقي على الصبر والإيمان بقضية وطنه والاستشهاد من أجل أن تعيش الجزائر حرة مستقلة.

الفعل الكلامي: " ولا تلثم " تدل صيغته الحرفية على النهي وفيها نهي عن إخفاء الوجه، وهو الفعل الكلامي المباشر.

الفعل الإنجازي: تتضمن قوة إنجازية ضمنية غير مباشر يدعو فيها الشاعر إلى طلب المواجهة الصريحة ورفض التستر والنفاق.

الفعل التأثري: إحراج الجلاد ووضعه في موقف محرج وحثه على الصدق.

1.2. الاستفهام:

"هو استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن" (الجرجاني، 1405 هـ، صفحة 17). ويقول ابن هشام الأنصاري: "اعلم أن المطلوب حصوله في الذهن إما تصور أو تصديق؛ وذلك لأنه إما أن يطلب حكما بنفي أو إثبات هو التصديق أو لا وهو التصور" (الأنصاري، 1964، صفحة 70).

وقد ورد في البيت فعل إنجازي مباشر هو الاستفهام وتضمن فعل إنجازي غير مباشر هو التحقير في قول الشاعر (مفدي زكريا، 1983، صفحة 18):

أَمِنَ الْعَدْلُ صَاحِبَ الدَّارِ يَشْقَى وَدَخِيلَ بِهَا يَعِيشُ سَعِيدًا

يوجه الشاعر خطابه إلى الشعب الجزائري بالدعوة إلى التحرر من الاستعمار الفرنسي ليعيشوا سادة في وطنهم حيث جاء الاستفهام بالهمزة {أ} "أمن العدل صاحب الدار يشقى" وهو فعل كلامي توجيهي مباشر هو الاستفهام وتضمن قوة إنجازية غير مباشرة هي الاستنكار أدى إلى فعل تأثري هو إثارة المتلقي للتعاطف مع صاحب الحق والغضب اتجاه الظلم

الفعل الكلامي: " أَمِنَ الْعَدْلُ صَاحِبَ الدَّارِ يَشْقَى ؟ " وهي الصيغة الحرفية للفعل الكلامي التوجيهي تساءل فيها الشاعر عن عدالة الموقف عندما يشقى صاحب الحق وهو الشعب الجزائري، بينما يعيش المغتصب حياة سعيدة.

الفعل الإنجازي: تضمن الفعل الكلامي المباشر قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في الاستنكار، يستنكر فيها الشاعر عن غياب العدالة

الفعل التأثري: إثارة شعور المتلقي بالظلم وغياب العدالة للوقوف مع صاحب الحق والدعوة إلى إعادة تحقيق العدالة.

وورد الاستفهام بالأداة كيف في قول الشاعر وتضمن فعل إنجازي غير مباشر هو الاستنكار (مفدي زكريا، 1983، صفحة 19):

لَيْسَ فِي الْأَرْضِ سَادَةٌ وَعَبِيدٌ كَيْفَ نَرَضَى بِأَنْ نَعِيشَ عَبِيدًا

يوجه الشاعر خطابه إلى الشعب الجزائري بالدعوة إلى التحرر من الاستعمار الفرنسي ليعيشوا سادة في وطنهم حيث جاء الاستفهام بالأداة كيف (كيف نرضى) وهو فعل كلامي توجيهي خرج من معناه المباشر وهو الاستفهام إلى معنى غير مباشر وتضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي الاستنكار أدى إلى فعل تأثري هو تحفيز المتلقي إلى رفض العبودية والمطالبة بالمساواة.

الفعل الكلامي: " كَيْفَ نَرَضَى بِأَنْ نَعِيشَ عَبِيدًا ؟ " فعل كلامي توجيهي مباشر تساءل فيها الشاعر عن كيفية قبول العبودية ومن يرضى بها من الناس الأحرار.

الفعل الإنجازي: تضمن الفعل الكلامي المباشر الاستفهام قوة إنجازية متضمنة في القول تمثلت في الاستنكار استنكر فيها الشاعر قبول العبودية والرضا بها من طرف الشعب الجزائري، والدعوة إلى رفضها من أجل تحقيق العدالة والمساواة ونفي الطبقية والاستبداد.

الفعل التأثري: تحفيز المتلقي لرفض العبودية، والغضب على الظلم والقهر، والتفكير في الحرية والمطالبة بالعدل والمساواة.

3. الالتزاميات "Commissives":

وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات world-to-words وشرط الإخلاص هو القصد Intention والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل على أن كثيراً مما عده أوستين من هذا الصنف لا يدخل فيه على الإطلاق (نحلة، 2002، صفحة 50)، ووردت أفعال الوعد في قصيدة الذبيح الصاعد في قول الشاعر (مفدي زكريا، 1983، صفحة 19).

أنا إنْ متُ فالجزائر تحيا حُرّة مُستقلةً لن تبيدا
قوله ردد الزمان صداها قدسياً فأحسن التريدا
أحفظوها زكيةً كالمثاني وانقلوها للجيل ذكراً مجيداً
وأقيموا من شرعها صلوات طيبات ولقنوها الوليدا

في هذه الأبيات الشعرية أنجز الشاعر مفدي زكريا فعلا كلاميا إلزاميا غرضه الإنجازي الالتزام والوعد، فالأفعال الماضية "تحيا، ردد، أحفظوها، أنقلوها، أقيموا، لقنوها" دالة على تعهد الشاعر وتمسكه بقضية العادلة من أجل استرجاع الوطن، حققت قوة إنجازية مفادها الترغيب في الجهاد فقد رغب الشاعر في الجهاد والاستمرار فيه حتى تستقل الجزائر. وتوعده باستقلال الجزائر.

الفعل الكلامي: الأبيات تحمل أفعالا كلامية التزم فيها الشاعر بالدعوة إلى التضحية والحفاظ على التراث ونقل القيم الدينية والمبادئ الوطنية للأجيال القادمة، والتي تجسدت من خلال قول الشاعر: "أنا إنْ متُ فالجزائر تحيا" فعل كلامي التزامي مباشر، التزم فيه الشاعر بالتضحية من أجل وطنه، "أحفظوها زكيةً كالمثاني" تعهد فيها الشاعر بحفظ هوية الجزائر، "وانقلوها للجيل ذكراً مجيداً" تعهد فيها الشاعر بنقل التراث الجزائري للأجيال القادمة، "وأقيموا من شرعها صلوات" التزم فيها الشاعر بنقل القيم الدينية والثقافية.

الفعل الإنجازي: تضمن التأكيد على الالتزام بمسؤوليته اتجاه وطنه من خلال تعهد الشاعر بالتضحية من أجل استقلال وطنه، ودعوة المتلقين إلى حفظ التراث الجزائري ونقل قيمه الوطنية للأجيال القادمة، والحفاظ على هوية الشعب الجزائري.

الفعل التأثري: إثارة مشاعر المتلقي وتعزيز إحساسه بالانتماء للوطن، وإشعاره بدوره الفردي في بناء مستقبل وطنه، من خلال التضحية من أجل وطنه، والاعتزاز بالقيم الوطنية ونقلها للأجيال في المستقبل، للحفاظ على الهوية الوطنية.

4. التعبيريات "Expressives":

وغرضها التعبير عن مشاعر حيال الواقع، واتجاه المطابقة فيها هو الاتجاه الفارغ، ومن أمثلتها: الشكر، التهنية، التعزية والترحيب، الاعتذار (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 178)، يمكننا التمثيل لها ببعض الأفعال الموظفة في القصيدة في قول الشاعر (مفدي زكريا، 1983، صفحة 20):

وجيوش مَضَتْ يدُ الله تُز جِها وتَحِي لواءها المعقودا
من كِهول يقودها الموت للنصرِ فتفتك نصُرها الموعودا
وشبابٌ مثل النسر ترامي لا يُبالي بوجه أنْ يجودا
وشيوخ مُحَنِّكين كرام مُلِئت حِكْمَةً ورأيًا سديدا
وصبايا مُخَدَّرات تبارى كاللِبْوءات، تَسْتَفِرُّ الجُنودا
أَعْمَلْتُ في الجراح أنملها اللدن وفي الحرب غُصْنُها الأملودا

في هذه الأبيات الشعرية مجموعة من الأفعال الكلامية التعبيرية "تحني، يقودها، ترامي، تستفز، تباري" عبر فيها الشاعر عن فرحه ورضاه بالثورة وتضمنت هذه الأفعال قوة إنجازية هي البشرية والتفاؤل لبناء غد مشرق باسترجاع السيادة والاستقلال بالتفاف كل أفراد الشعب الجزائري من رجال ونساء وشيوخ وأطفال إلى ثورة التحرير، وغرضها الإنجازي التعبير عن الحالة النفسية للشاعر التي تحث المتلقي إلى التصدي للمستعمر الفرنسي ومقاومته والافتخار بالمجاهدين.

الفعل الكلامي: الفعل الكلامي التعبيري المباشر دلت عليه الصيغة الحرفية المجسدة في قول الشاعر، والتي عبّر فيه الشاعر عن مختلف فئات المجتمع من شباب وكهول وشيوخ ونساء لتحقيق النصر. فقد تضمن البيت الأول فعل تعبيري تمثل في الفخر والإعجاب عبر فيه الشاعر عن إعجابه وافتخاره بالشباب الذي يضحى من أجل استقلال وطنه، وتضمن البيت الرابع فعل تعبيري تمثل في التقدير والاحترام عبر فيه الشاعر عن احترامه لرأي وحكمة الشيوخ ودورهم في قيادة الثورة لتحقيق النصر، وتضمن البيت الخامس فعل تعبيري تمثل في التمجيد مجد فيه الشاعر دور النساء وشجاعتهن في المعركة.

الفعل الإنجازي: تضمنت الأبيات أفعالا إنجازية تعبيرية تجلت في تمجيد البطولات التي حققتها مختلف فئات المجتمع، والتأكيد على المسؤولية الجماعية لإنجاز أفعالا تحفيزية لتحفيز المتلقي على الاستمرار في هذه القيم البطولية.

الفعل التأثري: إثارة مشاعر الفخر والاعتزاز وتشجيع المتلقي لتعزيز القيم البطولية التي يقوم بها مختلف فئات المجتمع وإدراك أهمية التضامن بين مختلف أفراد المجتمع لتحقيق النصر.

5. الإعلانات "Déclarations":

وتسمى الإيقاعيات وغرضها إحداث تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي العالم الخارجي، واتجاه المطابقة اتجاه مزدوج من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم ومن أمثلتها: التقرير، الاستقالة، التسمية، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص (صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، 2023، صفحة 178). وقد وردت الأفعال الإعلان في قول الشاعر (مفدي زكريا، 1983، صفحة 20):

فَمَضَى الشَّعْبُ بِالْجَمَاجِمِ يَبْنِي	أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَعِزٌّ وَطِيْدٌ
مِنْ دِمَاءِ زَكِيَّةٍ صَبَّهَا الْأَحْرَارُ	فِي مَصْرَفِ الْبَقَاءِ رَصِيْدٌ
و نَظَامُ تَخَطُّهُ ثَوْرَةُ التَّحْرِيرِ	كَالْوَحْيِ مُسْتَقِيمًا رَشِيْدًا
وَإِذَا الشَّعْبُ دَاهَمَتْهُ الرِّزَايَا	هَبْ مُسْتَصْرَخًا وَعَافِ الرُّكُودَا
وَإِذَا الشَّعْبُ غَاظَلَتْهُ الْأَمَانِي	هَامٌ فِي نَيْلِهَا يَدُكَ الْسُدُودَا
دَوْلَةُ الظُّلْمِ لِلزَّوَالِ إِذَا مَا	أَصْبَحَ الْحَزُّ لِلطَّعَامِ مَسُودَا

الشاعر مفدي زكريا يرمي إلى الإعلان عن واقع جديد في المستقبل يبشر بغد مشرق للشعب الجزائري للتحرر من المستعمر بالانضمام إلى ثورة التحرير والاستشهاد في سبيل الوطن فالشاعر يعلن أن حرب التحرير مستمرة والشعب متشبث بتحقيق الاستقلال والنصر مهما كلفه من تضحيات، وأن ثورة التحرير تسير بنجاح، وقد تحقق هذا الإعلان عن طريق الفعل "يبنى" الذي أعلن فيه الشاعر بالدفاع عن الوطن وقد تتبعه بمتوالية من الأفعال الكلامية (صبها الأحرار، تخطه ثورة، هب مستصرخا، يدك السدودا) والتي تعلن عن مواصلة الجهاد للتحرر من المستعمر الفرنسي.

الفعل الكلامي: الإعلان عن تغيير الواقع من خلال التضحيات وتعزيز فكرة الاستقلال والحرية، وزوال الظلم، وقد تضمنت الأبيات الشعرية أفعال كلامية إعلانية من خلال قول الشاعر: في البيت الأول فمضى الشعب بالجماجم يبنى "أعلن فيها الشاعر عن تأسيس دولة الجزائر من خلال التضحيات، وفي قوله في البيت الثاني: من دماء زكية صبها الأحرار" يعلن فيها أن دماء الأحرار مصدر لبقاء الوطن الجزائري، وفي البيت الثالث

يعلن الشاعر عن شرعية النظام الثوري من خلال قوله: "ونظام تخطه ثورة التحرير..." وفي البيت الرابع يعلن المتكلم عن استعداد الشعب الجزائري لمواجهة الأزمات في قوله: "واذا الشعب غا زلته الأمانى" وفي البيت الأخير يعلن الشاعر مفدي زكريا عن زوال دولة الظلم فرنسا عندما ينتفض الأحرار من الشعب الجزائري في قوله: دولة الظلم للزوال"

الفعل الإنجازي: إعلان الشاعر عن شرعية الثورة التحريرية وإبراز أثرها في تغيير الواقع المظلم، والإعلان عن بداية نظام جديد قائم على حرية وإرادة الشعب الجزائري، وتعزيز الثقة لدى المتلقي بشرعية الثورة وقوتها لبناء وطن حر، عندما ينهض الأحرار من أبناء الشعب.

الفعل التأثري: إقناع المتلقي وتحفيزه بأن التغيير ممكن وأن الظلم لا يدوم إذا تحرك الشعب لمواجهة وعدم الاستسلام له، لدفع المتلقي من أجل تغيير واقعه الراهن وتقوية إرادته لدعم مقاومة الاستبداد.

خاتمة:

قصيدة الذبيح الصاعد حاول فيها الشاعر تحويل أجواء إعدام الشهيد أحمد زبانا من أجواء الحزن إلى أجواء روحانية مؤثرة تبعث في نفوس أبطالها الأمل وكان شعره وسيلة وسلاح للتعبير عن آلام الشعب وأمله في الاستقلال كونه شاعرا ثوريا ساهم في تشكيل الوعي الجماهيري.

تنوعت الأفعال الكلامية في قصيدة الذبيح الصاعد من إخباريات وتوجيهيات وتعبيريات ووعديات والتزاميات، والصنف الأكثر حضورا هو التقريرية، لأن الشاعر بصدد تقرير حادثة إعدام البطل الشهيد أحمد زبانا رحمه الله من أجل تبلغها للمتلقى والتأثير فيه.

الأفعال الكلامية الموظفة في النص الشعري الذبيح الصاعد أفعال إنجازية قصدية لها قوة حجاجية تظهر في الأثر الناتج عن القول وردة فعل المتلقي، وقد تعددت القوة الإنجازية للفعل الكلامي بحسب المقام وقصد المتكلم، وتمظهرت الأفعال الكلامية على شكل أفعال كلامية مباشرة وأفعال كلامية غير مباشرة.

إن استثمار نظرية أفعال الكلام في تحليل الخطاب الشعري يساعد بالوقوف على مقاصد الخطاب الشعري المباشرة والمضمرة انطلاقا من السياق الذي وردت فيه.

II. الإحالات والمراجع:

1. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ط1، مج1، تحقيق: مازن المبارك وآخرون، دمشق: دار الفكر، 1964.
2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ط1، تحقيق: أحمد جاد، القاهرة: دار الغد الجديدة، 2014.
3. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبدیع)، ط3، لبنان: دار الكتب العلمية، 1993.
4. الجرجاني، التعريفات (د.ط)، تحقيق: إبراهيم الأنباري، بيروت: دار الكتاب العربي 1405 هـ.
5. جورج يول، التداولية، ط1، ترجمة: قصي العتابي، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2010.
6. حنان بومالي، الصورة الفنية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا. مجلة المخبر (12)، 2012.
7. طالب هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. الكويت: مطبوعات الكويت، 1994.
8. عبد الناصر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ط1، مصر: مركز الحضارة العربية، 2005.
9. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. الإسكندرية: دار المعرفة، 2002.
10. مسعود صحراوي، القوى الإنجازية عند سيرل، بنيتها ومنهج تصنيفها، مقال. مجلة تداوليات (1)، سبتمبر 2023.
11. مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ط1، الأردن: دار أزمته، 2023.
12. مفدي زكريا، اللهب المقدس، ط1 الجزائر: الشركة الوطنية، 1983.